

تيمة الارهاب في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر - نماذج مختارة من العشرية السوداء -

The Theme of Terror in the Contemporary Algerian Novelist Discourse
Selected Models from the Black Decadeأسيا عمران¹

جامعة العربي التبسي - تبسة

ameraniassia@gmail.com

أ.د. شادية شقروش

جامعة العربي التبسي - تبسة

ameraniassia@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/01/18 القبول 2021/11/10 النشر على الخط 2022/04/15

Received 18/01/2020 Accepted 10/11/2021 Published online 15/04/2022

ملخص:

يهتم هذا البحث بدراسة أهم القضايا السياسية والأخلاقية والاجتماعية التي تناولها الخطاب الروائي في فترة العشرية السوداء، حيث يعد هؤلاء الكتاب من العلامات البارزة في مجال النقد والإبداع الجزائري لغزارة انتاجاتهم وإبداعاتهم في مجال الخطاب الروائي، فقد عبروا من خلال هذه الروايات عن المعاناة الحقيقية التي تعرض لها الشعب الجزائري إبان تلك الفترة، وكيف تحولت البلاد خلال فترة وجيزة إلى بركان من الفتنة جسدتها العمليات الإرهابية، فاستطاعوا بذلك ان ينقلوا هذه المأساة في قالب فني إبداعي هيمن عليه الصراع بين الدين والسياسة والإرهاب، ومما دعانا لاختيار هذا الموضوع هو الرغبة الملحة لتسليط الضوء على فترة حرجية من تاريخ الجزائر، ورصد الآثار النفسية المنجرة عن أحداث العشرية السوداء التي لاتزال نلمسها إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الروائي - التيمة - الارهاب - العشرية السوداء - أدب المحنة.

Abstract:

This research is concerned with studying the most important political, moral and social issues addressed by the novelist discourse in the period of the black decade. These writers are considered among the prominent signs in the field of Algerian criticism and creativity, due to the abundance of their productions and creativity in the field of narrative discourse. Through these novels, they expressed the real suffering they were exposed to The Algerian people during that period, and how the country turned in a short period into a volcano of strife embodied by terrorist operations, so they were able to convey this tragedy in a creative artistic form dominated by the conflict between religion, politics and terrorism, and what prompted us to choose this topic is the urgent desire to shed light on the period critical from the history of Algeria, and monitoring the psychological effects of the events of the black decade that we still touch to this day.

Keywords: the narrative discourse - the theme - the fugitive - the black decade - the literature of the ordeal.

مقدمة:

شهد الأدب الجزائري المعاصر تغييرا ملحوظا في السنوات الأخيرة من القرن الماضي متأثرا بالأحداث السياسية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها الجزائر، فذلك التأثير أعطى ميزة خاصة لأدب تلك الفترة باعتبارها الوريث الشرعي لها، وذلك ما تجلّى في الأعمال الأدبية كتيمة الإرهاب والموت الطاغيتين على انتاجات العشرية السوداء، فذلك الثراء الفني لم يلقى الحظ الوافر من المقاربات النقدية، لأن هذه الأخيرة تعني رفع التحدي والجرأة في وقت حرمت فيه بعض الأقلام التعبير عن الواقع المؤلم للكشف عن الحقيقة، وتعود تسمية أدب المحنة الشائع في أوساط بعض النقاد والباحثين إلى كون هذا الأدب عايش وترجم تلك المتاهات الغامضة لمجتمع أصبح نهاره ليلا، لشدة وفظاعة ذلك الظلم والقهر الذي كان يعيشه إفراده حيث تشتت القيم وتبددت الحقيقة، فأدب المحنة هو الوجه الآخر لمحنة الكتابة والتمزق الذاتي للفرد، وباعتبار الأدب انعكاسا لحالة المجتمع وتعبيرا صريحا عن حياة أفراده، كان لزاما على أدباء الجزائر أن تكون أقلامهم سيالة، ترصد القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تمخضت عنها أزمة الجزائر والتي أطلق عليها العشرية السوداء، فقد أبحر أدباء الجزائر بإبداعاتهم سواء أكانت شعرا أو نثرا محاولين إعطاء ملامح عامة عن المجتمع الجزائري خلال فترة العشرية السوداء وهذا مدر بحثنا ب موضوعه الإرهاب في المجتمع الجزائري في روايات العشرية السوداء. ومما دعانا لاختيار هذا الموضوع هو الرغبة الملحة لتسليط الضوء على فترة حرجية من تاريخ الجزائر، ورصد الآثار النفسية المنجرة عن أحداث العشرية السوداء، التي لانزال نلمسها إلى يومنا هذا، وكانت دراستنا أيضا بهدف الاطلاع على كتابات تفردت بدراسة تجربة واقعية وبذلك أعطت ميزة خاصة للأدب الجزائري، باختلافها عن الكتابات السابقة مما أتاح لنا فرصة الاقتراب من النصوص الجزائرية التسعينية المعالجة للمحنة.

1- مفهوم التيمة: (Thème)

تزامن ظهور التيمة كمفهوم مركزي في الدراسات الأدبية مع ما يعرف بالنقد الموضوعات Critique thématique الذي نشأ في أوروبا إبان ستينات القرن العشرين مع موجة النقد الجديد، كما ظهرت هذه المقاربة النقدية في التعامل مع النص الأدبي شعرا ونثرا في العالم العربي متأخرة عن نظيرتها الأوروبية بعقد من السنوات، مع انتشار القراءات التأويلية والإيديولوجية وولادة التحليل الوصفي البنيوي واللساني، حيث يهدف هذا النقد إلى استقراء التيمات الأساسية الواعية واللاواعية في النصوص الإبداعية المتميزة، ورصد الدلالات المتواترة والقيم والقيمات المعنوية التي تتحكم في البنى المضمونية للنصوص الإبداعية.

1-1- الدلالة اللغوية:

يشترك مصطلح الموضوعاتي (Thématique) في الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة (Thème) وهي التيمة، حيث نسجل لهذا المفهوم تعريفات مختلفة باختلاف المنطلقات المعرفية أهمها:

» يعرف بوجواز (M. Pougeoise) التيمة في معجمه " Dictionnaire didactique de la langue française " بقوله: "تقابل "thème" التعليق "rhème"، ففي خطاب ما تحدد التيمة هدف فعل التلفظ (ما نتحدث عنه) بينما يمثل التعليق محتوى (مضمون) ما يتعلق بهذه التيمة (ما نقوله عنها) «.

ويعرفها كل من غريماس وكورتيس في معجمهما السيميائي "Sémiotique, dictionnaire raisonnée de la théorie du langage" من منطق سيميوطيقا السرد: بقولهما: «القيم التي توجد في اتصال مع العوامل بواسطة الدلالة السردية.

» كما يميز تودوروف (todorv) وديكرو (Ducrot) في معجمهما:

"Dictionnaire encyclopédique des sciences de langue" بين الحافز "Motif" والقيمة "thème" باعتبار أن الحافز ارتبط بالدراسات الفلكلورية، وغالبا ما يرتبط بلفظ حاضر في النص، أو بجزء من اللفظ "Sème" وفي بعض الأحيان يرتبط بتركيب أو جملة، في حين أن التعرف على القيمة يقتضي تحليل النص في كليته، وتكون حاضرة طيلة النص الأدبي من خلال ما سبق يتضح أن المفهوم اللغوي للقيمة ظل بعيدا عن تعريف واحد متفق عليه، فهي عند بوجواز وهو من اللسانين الوظيفين تقابل مصطلح التعليق، وهو عبارة عن موضوعات جديدة تسند إلى المسند إليه أو تضاف إلى الفكرة المحورية للنص، في حين نجدتها في السيميائيات كمكون إجرائي ذو طبيعة مجردة يؤدي وظيفة الاستثمار الدلالي لعناصر التركيب.

1-2- الدلالة الاصطلاحية: إن "القيمة" (thème) كما يرى برنار دوبري (B.Dupriez): «هي الفكرة المتواترة في العمل الأدبي، وتستعمل أحيانا بمعنى الحافز الكثير التواتر. غير أن "القيمة" أكثر عمومية وتجريدا وتجاوزا».¹

معنى ذلك أن العمل الأدبي يتوفر على غرض هام ويمكن أن يتوفر على أغراض فرعية، وللغرض أو القيمة وظيفة أساسية وتتمثل في توحيد المكونات الأساسية للعمل الأدبي حول غرض محدد، أي ضمان انسجامه وبنائه الخاص كما يمكن أن تكون هذه القيم مشتركة في أعمال متعددة للكاتب نفسه، أو عدة كتاب في حقبة واحدة، وهي تتصل بصور أو أفكار أو حوافز متكررة على طول العمل الأدبي، وهذا التكرار للقيمة يجعلها تتربط فيما بينها لضمان وحدة ومعمارية العمل، وفي الوقت نفسه تفتح على كل ماهو خارج نصي، بغية الكشف عن علاقة الذات بالعالم الذي تعيش فيه، وتعبّر عنه من خلال الإنتاج الأدبي.²

يقترح جان بيير ريشار (Richard) تعريفا للقيمة أو الموضوع على أنه "مبدأ تنظيمي محسوس ينتظم حوله عالم بكامله إلى التشكل والامتداد والأهم فيه هو هذه (القراءة السرية) بتعبير مالارمي، أي هذه الهوية الخفية (Identité Cachée) التي تتجلى في مظاهر متنوعة، فالقيم الرئيسية للعمل الأدبي، تلك التي تشكل معماره اللامرئي والتي تمنحنا مفتاحه، هي تلك القيم التي نجدتها باستمرار تتكرر في العمل بوتيرة ظاهرة واستثنائية، وهذا التكرار يشير إلى الهاجس الذي يمتلك الكاتب"³.

من الواضح أن الخطاب النقدي العربي قد أسرف إسرافا لغويا واضحا في تلقيه لهذا المفهوم حيث تجاوز به خمسة عشر مقابلا له تيم، قيمة، موضوع، موضوع، غرض، مضمون، معنى رئيسي، جذر، محور، ساق، ترجمة، قضية، فكرة، خيط... وهذا راجع إلى اختلاف المنطلقات المعرفية للدارسين والمترجمين وهذا التعثر الاصطلاحي ليس بجديد في الثقافة العربية، حيث نجد إبراهيم الخطيب على سبيل المثال يترجم كلمة (Thème) "بغرض" وذلك أثناء ترجمة لنظرية الأغراض لدى توماشفسكي Tomashovsky

¹ - سعيد يقطين، الفكر الأدبي العربي البنيات والانساق، (الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2014)، ص 76.

² - ينظر: سعيد يقطين، الفكر الأدبي العربي البنيات والانساق، ص 77.

³ - يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، الجزائر، جسر، ط2، 2009، ص 151.

التي يتمحور حولها العمل الأدبي، وذلك حين تتمازج الحمل خلال السيرورة الفنية المفردة فيما بينها حسب معانيها محققة بناء محدد هو الغرض المشترك، وبالتالي فإن الغرض أو التيمة هو البناء الموحد لحمل النص المتشابهة، تركيباً ودلالياً بواسطة فكرة مهيمنة معنوية، أي الوظيفة البنائية للتيمة.

2- في ماهية الإرهاب:

2-1- الإرهاب في اللغة: تشتق كلمة إرهاب من الجذر اللغوي "رَهَبَ يَرْهَبُ رَهْبَةً، أي خاف، ورهبه أي خافه، والرهبه هي الخوف والفرع، وهو راهب من الله، أي خائف من عقابه، مصدر أرهب ومعنى أرهب في اللغة خَوْفٌ، أما الفعل المزيد بالتاء تَرَهَّبَ فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبانة، والترهب التَّعَبُّدُ¹، ويقال "رهبوت خير من رحموت، بمعنى لأن ترهب خير من أن ترحم. وجاء في أساس البلاغة قوله: هو «رجل»².

الواضح أن المعاجم العربية القديمة قد خلت من كلمتي الإرهاب والإرهابي لأنهما حديثا الاستعمال ولم تكن شائعة في الأزمنة القديمة، وقد أوردت المعاجم اللغوية المعاصرة معنا لغويا للإرهاب في مفهومه الحديث منها:

وجاء لفظ الإرهاب في السنة الشريفة، في حديث عن عبد الرحمان بن أبي ليلى قال: «حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى بغل معه، فأخذها، ولما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: ما يضحككم؟ فقالوا: لا، إلا أننا أخذنا نعل هذا فزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل لمسلم أن يُرَوَّع مسلماً». قال "ابن كثير في التفسير" في قوله تعالى: «ترهبون»، أي تخوفون به عدو الله وعدوكم من الكافرين، أما القرطبي فيرى معناها: تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب»³.

نجد أن قاموس اللغة الفرنسية "روبير" يعرف الإرهاب بأنه: «الاستعمال المنظم لوسائل استثنائية للعنف، من أجل تحقيق هدف سياسي، وعلى وجه الخصوص، هو أعمال العنف من اعتداءات فردية أو جماعية، أو تدميرات ينفذها تنظيم سياسي، للتأثير على السكان أو خلق مناخ بانعدام الأمن»⁴.

أما في قاموس اللغة الانجليزية "أكسفورد"، نجد أن كلمة "Terrorist" الإرهابي: "هو الشخص الذي يستعمل العنف المنظم لضمان نهاية سياسية، والاسم "Terrorism"، يعني الإرهاب، يقصد به العنف والتخويف، أو الإرعاب وبخاصة في أغراض سياسية»⁵.

أما في قاموس المنجد في اللغة والإعلام يتضح أن «الإرهابي هو من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته، والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف تعتمد إليه حكومات أو جماعات ثورية»⁶.

¹ - محمد بن علي الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار المعارف، ط2، د ت، ص 345.

² - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ط 11، 1962، ص 256.

³ - كمال النيص: ظاهرة الإرهاب، المفهوم والأسباب والدوافع، الحوار المتعدد، محور دراسات وأبحاث قانونية، ع: 3419.

⁴ - Le petit Robert, Dictionnaire de la langue française, paris, 1993, p2238

⁵ - Oxford Advanced learner's Dictionary of current English, 1974.p123

⁶ - بدوي أحمد زكي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، لبنان، د د، ط 1، 1970، ص 182.

إلى جانب المعاجم اللغوية العامة هناك معاجم متخصصة فقد ورد في معجم "مصطلحات العلوم الاجتماعية" أن الإرهاب يعني: « بث الرعب الذي يثير الخوف والفرع، أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف... »¹.

يتضح لنا مما سبق أن لفظة الإرهاب في معناها العام اللغوي تعطي معنى الخوف والفرع والرعب.

2-2- الإرهاب في الاصطلاح: دخلت فكرة الإرهاب عالم الفكر القانوني لأول مرة في المؤتمر الأول لتوحيد القانوني العقابي الذي انعقد في مدينة وارسو في بولندا عام 1930، ومنذ ذلك التاريخ انبرى عدد من الكتاب والعلماء والأدباء لوضع تعريف جامع مانع للإرهاب والتصدي لهذه المسألة التي تذر قرنًا في جنبات العالمين العربي والغربي، والواضح أن للمفاهيم أهمية في تحديد المصطلحات وتبيان دلائلها، وذلك لإزالة اللبس والغموض الذي قد يعلق بذهن القارئ، يقودنا ذلك إلى ذكر مجموعة من التعريفات لمفهوم الإرهاب، وقبل أن نستهل في الحديث عن ذلك جري بنا أن نشير إلى حقائق مهمة، هي أن الإرهاب لا صلة له بالإسلام أبداً، فهو عمل شيطاني لا دين له ولا انتماء ولا وطن، كما أنه مرفوض شرعا مهما كانت الأسباب والمبررات.²

لقد كانت أهم المحاولات لتعريف الإرهاب في الفقه الغربي تلك التي بذلت عام 1930 أثناء مؤتمر 'وارسو'، حيث اختلفت المعايير المعتمدة لتحديد هذا المفهوم عند أصحابه، وذلك بناء على أولويات معينة وأفكار مسبقة.

فنجد أريك دفيد Eric David يعرف الإرهاب بناء على طابعه الأيديولوجي، وذلك في قوله: « عمل عنف أيديولوجي يرتبط بأهداف سياسية ».³

كما يعطي "بي ويلكنسون" P.Wilkinson أهمية خاصة لثلاثة عناصر في فعل الإرهاب، أولها الأهداف الإرهابية لمقتريه، وفق ذلك فإن الإرهاب بالنسبة إليه: « هو استخدام القتل العمد والتخريب، والتهديد، باستخدام القتل العمد والتخريب، لإكراه الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات أو الحكومات بالرهبة على الإذعان لأهداف الإرهابيين السياسية ».⁴

أما في الفقه العربي، فقد وضع مجلس وزراء الداخلية العرب تعريفاً للإرهاب، في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب المنعقدة في القاهرة "أبريل 1998"، في الفقرة الثانية من المادة الأولى، ونصه: « كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر ».⁵

¹ - سعيد فكرة ، مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب ، ج1، ص ص 211-212

² - أحمد محمد رفعت، صالح بكر الطيار: الإرهاب الدولي، باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط 9، 1998، ص 218.

³ - سعيد يقطين : الفكر الأدبي العربي البنيات والانساق، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2014، ص 76

⁴ - هبة الله احمد خميس مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب، ، الإرهاب الدولي أصوله الفكرية وكيفية مواجهته ج1، ص52.

⁵ - صالح سليمان عبد العظيم ، سوسيولوجيا الرواية السياسية يوسف العقيد أنموذجا ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، 1998، ص 20 .

3- إشكالية مصطلح أدب المحنة في الأوساط النقدية في الجزائر

قبل الخوض في غمار الحديث عن أدب التسعينات في الجزائر، كان لابد أن نوضح القارئ في السياق العام الذي مرت به الجزائر من ظروف اقتصادية وتاريخية والتي انبثقت عنها الأزمة الجزائرية "فأي باحث يقوم بتحليل الأعمال الأدبية أيا كان جنسها، لابد وأن يكون على دراية مسبقة بالمرحلة التاريخية التي نتج عنها هذا العمل الأدبي"¹، فما لبثت الجزائر أن تتذوق طعم الحرية التي تكبدت عن الحصول عليها مائة واثان وثلاثين سنة تحت وطأة الاحتلال وتعصفه لئيلها الاستقلال من المستدم الفرنسي، إلا أن "عشيت الاستقلال طغت على السطح صراعات أشقاء الأمس التي اضمرتهم حرب التحرير الوطني، هذه الصراعات التي عطلت بناء الدولة "فقد تردت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتشتت فئات المجتمع، وتناحرت جهات الحكم، وتدني المستوى الثقافي، وكل ذلك نتيجة منطقية للاستعمار الاستيطاني الطويل، وكان لهذه الظروف الأثر البالغ في عدم سير الدولة الجزائرية نحو مستقبل مشرق رغم الجهود المبذولة من طرف الدولة"².

جاءت العشرية السوداء لتعلن عن ضياع كل تلك الجهود، حيث كان النظام الجزائري آنذاك أمام خيارين: إما اتباع النهج الاشتراكي، أو السير في ركب النظام الرأسمالي، ولأن هذا الأخير ارتبط بالدول الاستعمارية، تبنت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال النهج الاشتراكي، وبدأت الخطابات والسياسات التي تنادي بالنهج التنموي تنعكس على فئات الشعب الجزائري ومع انهيار أسعار البترول سنة 1986، وتدني القدرة الشرائية، وتجميد الأجور، وارتفاع سعر المواد بطريقة فوضوية، والتسريح المسبق للعمال، وضعف الإنتاج الفلاحي وغيرها من الأزمات، في ظل كل هذا جاءت الصدمة التي لم يستوعبها الشعب وانتهى مسارها بالتأزمات وانفجار الوضع في أحداث 8 أكتوبر 1988م، أخذت التجربة الجزائرية بعد هذا التاريخ منعطفا حاسما غير من نمطيتها الجاهزة.³

نشا الصدام بعدها بين الجيش والجبهة الإسلامية للإنقاذ، ودخلت الجزائر في درامية عنف، وكان الضحية الأولى فيها هو الشعب، في خصم تلك الصراعات تدهورت الأمور وزاد من تأزم الأوضاع وتشعبها أكثر مما أدى إلى تشتت المجتمع "فالتيار الديني الذي قاد هذه الحركات الاجتماعية إلى مواجهات عنيفة ليس مع الدولة فقط بل مع الكثير من القوى الاجتماعية الأخرى التي استعادت بخطابات وسلوكيات اقصائية عنيفة، مولدا حالة العنف الذي ساهم بتفريع الإرهاب، الذي ضرب بقوة بين صفوف أبناء الفئات الشعبية التي كانت القاعدة الاجتماعية والسياسية لهذه الحركات والشعبية."⁴

لعل الحديث عن أدب العشرية السوداء يثير إشكالية بين المهتمين بالشأن النقدي الروائي، والواضح أن الأدباء لم يجتمعوا على مشروعية أي مصطلح من المصطلحات المتداولة فيما يخص أدب التسعينات والتي يمكنها استيعاب هذا المفهوم، حيث أطلقت عدة تسميات على فترة التسعينات من القرن العشرين ومنه على أدبها: فترة الأزمة، فترة المحنة، عشرية الدم، فترة الفتنة، العشرية الحمراء...، ويعود مصدر كل هاته التسميات إلى أوساط اجتماعية إعلامية وسياسية، باستثناء بعض الكتابات الصحفية المستعجلة

¹ - ينظر عبد العالي دبله، الدولة الجزائرية الحديثة الاقتصاد والمجتمع والسياسة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص38

² - سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير، نخصص أدب جزائري معاصر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010، ص8.

³ - فائزة مصطفى، مقال الادب الاستعجالي يعود الى الواجهة، جريدة الأخبار، 2001، ص1.

⁴ - اليامين بن تومي، إشكالية مصطلح الأدب الاستعجالي/التحول السردى، على الرابط :

في الصفحات الثقافية التي لم تخرج من حدود ترديد التهمة التي ألصقت نهائيا بالأعمال الصادرة وقتئذ، بتوصيفها بتشخيصين يلخصان لوحدهما الحكم النقدي النهائي الذي لا يحتمل المراجعة، بحيث وصفت حيناً بالأدب الاستعجالي، وهو المفهوم الذي رددته الأوساط الفرانكفونية في مقارنتها النقدية، بينما انفردت المقاربات العربية للظاهرة في الملتقيات والكتابات الصحفية بإطلاق مفهوم كتابة المحنة

ونجد من النقاد من يعارض تسمية أدب العشيرة السوداء بالأدب الاستعجالي ومنهم "واسيني الأعرج" الذي اعتبر ذلك الأدب هو توثيق لما حدث في فترة العشيرة السوداء كما حدث مع الأدباء الأوروبيين خلال الحرب العالميتين، إلا أن هذا الأدب يأخذ بعداً أوسع من التوثيق للأحداث، لأنه يعبر ويجسد بصدق التجربة الواقعية المليئة بصرخات الضحايا الأبرياء، فهو تجربة فنية إبداعية لها خصائصها المميزة عن غيرها من التجارب.¹

في حين يرفض "طاهر وطار" مصطلح الأدب الاستعجالي بقوله: "إنني اعترف بمصطلح الاستعجال في الأدب، وإذا لم تكن نقصد بالاستعجال التهافت من أجل الظهور والبروز رغم حداثة التجربة والموهبة"، ولأن أدب التسعينيات هو مظهر اقتضته الحاجة في سنوات الإرهاب، حيث كان يتخبط في خضم السياسة والأيديولوجية، فقد سار نفس المسار السبعيني لكن بدرجة أكبر بسبب الظروف الراهنة، ففي حديث الناقد مخلوف عامر عن الراحل الجزائري وترهين الخطاب يؤكد "هيمنة الخطاب السياسي والأيديولوجي في المحاولات النقدية أو الإبداعية وقد ظمنت هذه الهيمنة على ثلاث فترات متميزة من تاريخ البلاد وتلج بطبيعة الحال الفترة التي نحن بصدد معالجتها في هذا المضممار فلا تكاد تخلو نصوص فترة التسعينات من التعبير عن هول الأزمة، وما خلفته من نزيف في النسيج الاجتماعي"²

في ظل تلك الأجواء التي يملؤها ويعمها السواد، ونظراً لأن الأدب يسائر التاريخ ويميز غيره ليلتقط مادته مما هو راجع ومتفرد، لينقل بكل علو وتسام التجربة الواقعية إلى تجربة إبداعية يمازحها جانب أوفر من التخيل والفنية ليرسم حقيقة يجب على الأديب أن يصورها ويعبر عنها، نستخلص مما سبق أن الإنتاج الأدبي التسعيني والروائي بصفة خاصة تعايش وواقع العشيرة السوداء، وصور بكل صدق الأوضاع السياسية والاجتماعية، مثل هذا التصور الروائي عن طريق منح أدوار لشخصياتهم الورقية ليصنعوا الصراع السياسي والديني والعنف الدموي، حيث اتسمت هذه الأعمال التسعينية بالعنف اللغوي وفوضى الأحداث الناتجة عن العنف السياسي لتلك الفترة الزمنية، وبالتالي ظهرت إشكالية فوضى المصطلح لأدب العشيرة السوداء أو الأدب الاستعجالي، أدب المحنة، أدب الإنعاش، أدب الأزمة وغيرها من التسميات، فالمقاربات النقدية التي يكمن دورها في إبراز جماليات النصية وقعت في إشكالية المصطلح أو فوضى التسميات بشأن أدب التسعينيات، وهذا ما يغفل توسيع دائرة الدراسات الأدبية المولدة هي الأخرى لنصوص جديدة، وتجعل الدارس غارقاً في فهم مدار الإشكاليات بدل ملازمة فحوى النصوص التسعينية لاكتشاف السياقات الثقافية والاجتماعية.

¹ - عادل عبد الله الفلاح: مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب، قواعد حضارية في معالجة الأدب للإرهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة

العربية السعودية، 2012 م : 1608/5

² - عادل عبد الله الفلاح، المرجع السابق، ص 1611

4- محكيات الإرهاب في المدونات الروائية:

الإرهاب ليس حدثاً بسيطاً في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها، ولا بعدد الجرائم التي يقترفها، بل بفضاعتها ودرجة وحشيتها، فعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعاً، إذ استغرق مدة غير قصيرة وارتكب جرائم كثيرة بفضاعة بلغت أقصى ما تبلغه الهمجية، حيث فاق واقعه وفاجعته في القلوب واقع الثورة التحريرية، وقد رصدت المدونة الروائية الجزائرية المعاصرة هذه المظاهر الإرهابية وعالجتها بطريقة فنية هادفة، وحولت الأحداث والوقائع إلى حالة من الحضور يصعب التخلص من آثاره، ومن ثم ظل الوعي الجمعي يتذكر هذه الأحداث المؤلمة التي تركت آراءها في النفوس مخلقة أسئلة جوهرية تمخضت عنها متصورات جديدة، شكلت ما يعرف بثقافة الإرهاب.¹

لقد عبر الأدب الروائي الجزائري الذي واكب تلك الحقبة على الأزمة أصدق تعبير، حيث ظهرت روايات اشتبكت بقوة مع الأحداث لتكتشف عن عيوب الأصولية الفكرية، وتفضح أعمال الجماعات المتطرفة التي سعت إلى قتل الأدباء والشعراء وذلك لحصد العقول المستنيرة الموكلة إليها تنوير الأمة والرقى بها، ومن أمثال ذلك: "الولي الطاهر يرفع يده بالدعاء"، الحديث عن قانون الوثام الوطني واستحسانه، "الزلزال"، "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، "العشق والموت في زمن الحراشي"، "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار، سيدة المقام، شرفات بحر الشمال، "ذاكرة الماء"، منتقد لقانون الوثام لواسيني الاعرج، الحب في المناطق المحرمة، وعواصف جزيرة الطيور لجيلالي خلاص التي تصور حالة الاغتصاب للفتيات من قبل الجماعات الإرهابية، بوح الرجل القادم من الظلام، فتاوى زمن الموت، لإبراهيم سعدي، تميمون لرشيد بوجدر، "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص، "وطن من زجاج" لياسمينه صالح، "رصاصة واحدة تكفي" رابح فيلاي، و"دم الغزال" مرزاق بقطاش، "ذاك الحنين" لحبيب السايح، "الورم" محمد ساري وهي تصوير لحياة الإرهابي في الجليل، و"فوضى الحواس" لاحلام مستغانمي و"خرفان المولى" و"بما تحلم الذئاب" للروائي محمد بولسهول.

هي روايات معبرة عن فاجعة الفترة و نقل للمذابح والجازر التي اقترفتها الجماعات الإرهابية كما في رواية "مناهاة ليل الفتنة" عبد الحميد العياشي، وغيرها من الروايات التي حكمت تفاصيل يوميات العنف والإرهاب التي كان يعيشها المواطن الجزائري، فهي خطابات سردية لا تخلو من إحالات رمزية ووحدات دالة تعالج تيمة الإرهاب في علاقتها مع الآخر وتسعى لاحتواء سبيل الحوار الحضاري، واستيعاب مقاربات ذات أبعاد ومفاهيم إنسانية تدعو إلى نبذ ثقافة العنف والإقصاء وترسيخ لغة الحوار المثمر.

هذا ما أبرزته بعض الكتابات الروائية في الجزائر التي انطلقت من قناعة بالدور المنوط بالمفكر والمبدع في وقت تناوبت على الإنسان الجزائري ثلاثة قوى عاتية تصادر حريته ولقمة عيشه وسائر حقوقه وهي السلطة الحاكمة وأجهزتها المختلفة، وسلطة الخارج المتمثلة في العولمة التي تأخذ أشكالاً عديدة بين الاقتصاد والغزو الثقافي والإعلامي المعنون بالإرهاب، وسلطان الإرهابي الذي يأخذ بدعوى الانتقام للمظلومين، وهو أكثر أشكال العنف فضاة ودموية ومهمة الكاتب في حال كهذه ليست حمل السلاح أو مقارعة العنف بمثله، بل فضح مثلث الهيمنة والتسلط الذي يلقي بثقاله على الواقع الجزائري الممعن في تحبطه.

من الأعمال الروائية الأولى التي عكست روحية التطرف الديني بوجه خاص، وشكلت النواة الفعلية لهذا الخطاب رواية "الزلزال لطاهر وطار" التي تعد من أهم روايات الحقبة التي مثل الفكر الإرهابي وثقافته عمودها الفقري، وميزتها تجسدت في تميز بطلها عبد

¹ - عبد اللطيف الحديدي، الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1996، ص134.

الحمد بولرواح، بأنه ليس شخصا أميا مغفلا، وإنما هو التجسيد الفعلي للخط التصاعدي الذي سلكه المثقف التقليدي وهو في طريقه إلى تبني ثقافة التطرف ونبد الحديد وصولا نقطة تنسد فيها أفق الحياة لتفضي الانتحار فيصبح الزلزال موشحا بالثورة بين زلزال الآخرة الذي تصفه الآية الكريمة في قوله تعالى: "إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليرى أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة سيئا يره" سورة الزلزلة، الآيات: 01 إلى 08. وبين زلزال الدنيا الناجم عن تغيرات الحياة وخلخلت القيم والمبادئ والمفاهيم الدينية والثقافية، التي وضعت بطل الرواية في طريق الهلوسة والهلاك، يصبح الزلزال في نظره زلزالا يحو كل الذين وقفوا في وجهه ومنعوه من تنفيذ مخططة الجهنمي.

فالكاتب هنا لا يحاول أن يطرح هموم الوطن وأزمة المواطن الجزائري فحسب، وإنما يحاول أن يطرح بعض هموم الإنسان العربي على المستوى الإيديولوجي والفكري، وتظهر هذه الإشارة في شخصيته بطل الرواية وهو يعبر جسر المصعد بقسنطينة رفقة احد أصدقائه يرى الأحدود في الجبل المقابل، فتقفز إلى خياله تلك المعاني المستدعاة في مجرى تيار الوعي في الرواية الحديثة، فالمؤلف يرى أن الوطن العربي أمة واحدة تحركها آلام مشتركة وتحدها آمال متقاربة، "ومن خلال امتلاكه للأدوات الكتابية الفنية نجده يعرض مبادئ القضية التي حرص على إقناع قارئه بها، حتى وإن اختلفا في الرأي، حيث تجاوزت التقريرية المجردة، فنجدته يخلق شخصية ويجملها أراه ووجهة نظره التي يريد إثباتها أو نفيها، وهاته الشخصية التي تحمل رؤية الكاتب السياسي تتحقق من خلال تصوير نموذج إنسانية واضح، تتشكل ملامحه في كافة العناصر الفنية التي يعتمد عليها الكاتب في تقديم نموذج فني مقنع يعيش في إطار عالم رواية جديدة"¹

من هذا المنطق عملت رواية "العشق والموت في زمن الحراشي" على تصوير وتجسيد الصراع المتوج بالعنف الإرهابي بين بعض الجماعات الإسلامية المعادية للتوجه الاشتراكي وبين المتطوعين لصالح الثورة وفي الوقت الذي يحرص فيه المتطوعون على إنجاح الثورة، ينتقل بطل الرواية مصطفى وجماعته بالتردد على المساجد ومرادة الأئمة من اجل تمرير خطابهم الجهادي القائم على الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، فالظاهر أن الرواية لم تكن تنبئية بقدر ما كانت راصدة للوقائع، لتتقل خطاب واضح وصريح للحيل الممكنة في استخدام الدين لأغراض سياسية، وأن القناعة الدينية عندما تأخذ منحى سياسيا أو القناعة السياسية عندما ترتدي ثوبا دينيا يصبح من الصعب جدا على أصحابها أن يتقبلوا الرأي الآخر، وينتهون إلى ممارسة العنف ميدانيا، والاعتماد على ثقافة توجيهية مثلما هو مبسط في هذا المثال: "إن مهام لجان الأحياء القضاء على الأخلاق الفاسدة وإغلاق المقاهي وطرد الفاسدين والمشكوك في أمرهم من العمارات والأحياء..."². وفي رواية الشمعة والدهاليز، وهي من الروايات التي أحدثت صدى واسعا في منظومة الثقافة الأدبية المعاصرة، لتنتقل لنا واقع وهموم وأوجاع وآلام الواقع الجزائري، وتستشرف أحلامه وآماله، بمسدة تجربة فنية صادقة وصرخة تتجلى فيها مشاهد الإرهاب.

حيث تداخلت الخطوط والأشكال وغابت الحقيقة، فكانت التجربة السردية هي المتنفس عن الآلام والمنقذ من الضياع والضللال والرسالة الهادفة لتعميق الرؤية وبحث سبل تغير الواقع وتعديل المفاهيم التي اختلطت في أذهان الناس، إن قارئ الرواية يدخل دهاليز

¹ - عبد الرحمان أبو عوف، قراءة في الرواية العربية المعاصرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1995، ص4

² - بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السرد في الرواية العربية الجزائرية، دد، الدار المغاربية للنشر، ط1، 2008، ص33.

كثيرة مختلفة ومتعددة، حتى إنه لا يخرج من دهليز ليدخل في آخر وبقدر تعددها، تتعدد في مقابلها التساؤلات المحيرة والدوغمائية متخذة أبعادا ذا مستويات اجتماعية ونفسية من جهة وتاريخية وسياسية من جهة أخرى. فقد اختار الكاتب أحداث أكتوبر 1992 زمن العنف في نص الروائي لبناء خطابه الذي يحرك في إطاره شخصياته، ولعل الكاتب اختار هذه البؤرة الزمنية المتوترة، ليلبس شخصياته هذا الزمن في مواجهة زمنها الذاتي، ومحاولة الكشف عن هذه المرحلة. فقد اتضحت منذ أحداث 1988 أكتوبر التيارات الاجتماعية والفكرية في الجزائر، ووجد الروائي نفسه وجها لوجه معها، وإن كان واحدا منها يتبنى إحداها ويهاجم أخرى، وقلمما يكون محايدا، مركزا على التطرف وشخصية المتطرف ليحملة في النهاية مع السلطة ما حدث.¹

بناء على ما تقدم ندرك أن الروائي "وطار"، حاول أن يطرح على الساحة الفنية إشكالية الهوية الثقافية والإيديولوجية، يشكل جمالي ومنطقي بما كان يدور من أحداث دامية في العشرية السوداء وأفكار ومبادئ مؤسسة على الانفعال والحماسة والانتهازية واللاعقلانية، حيث صور الإرهاب صورة حقيقية حية ناطقة بواقع العنف ويظهر ذلك في تصويره بلغة فنية رهيبية في صائفة 1997 وقعت في "حي الرايس" كما يطلق عليه، فبدت وكأنها شهادة حية عن نتائج الأزمة الجزائرية، كما ويستمر الكاتب في تتبع جذور هذا التطرف الديني والعقائدي عبر رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، حيث نلمح بعض الجماعات الإسلامية الأصولية في شخصية الولي الصالح الذي أوكلت إليه مهمة تفجيرية لاغتيال إحدى الشخصيات المهمة، ونجد أن الروائي اختزل عدة مشاهد دموية عنيفة في فجيعة مرعبة فيقول: "يهوي الساطور، يتدفق الدم، يتطاير الرأس والدم، لون الدم يصبغ كل شيء".²

يريد الروائي أن يقول من خلال تصوير هذه المشاهد الإرهابية الحية "أن العنف كصفة مساوية للإرهاب لا يورث سوى الدمار والخراب، بالإضافة إلى كونه مسألة عالمية، تتجاوز الحدود الجغرافية، فهو أزمة الإنسانية بصفة عامة، لذا وجب محاربتها وفضح أصوليتها وتعرية وخلخلتها بنائها من الأساس.

هذه العناية بتصوير قضايا الإرهاب والعنف، نجدها أيضا في روايات "واسني الأعرج"، وهو من أبرز الروائيين الذين عبروا بصدق على مشاهد الدمار والقتل والعنف بكل أشكاله أصدق تعبير، ففي روايته الموسومة بـ: "سيدة المقام"، التي كتبها والأحداث الإرهابية على أشدها، يشاهدها يوميا، وتتوالى على مسمعه ومراه في كل لحظة، فيتحول الكاتب إلى بطل ينقل الأخبار إلى الأفعال، إذ أن الإرهاب في روايته لم يكن حدثا عابرا ولا مجرد خبر يقرأ ويسمع وإنما هو عنصر من العناصر الطبيعية المكونة للبناء السردى، وهو بذلك لا يكتفي بتسجيل حضوره بل يعطيه بعدا تاريخيا وإيديولوجيا وسياسيا، ويفكك خيوطها ويوقف القارئ على صيرورتها وطبيعتها حين يقول: "إن المدنية أصبحت تعيش تناقضا، صارخا فيها الجمال فيها الحب فيها الحقد والعنف وفيها الحياة وفيها الموت وفيها من يصنع الفرح وفيها من يقتل الفرح".³

تظهر شخصية الإرهابي في روايته، على هيئة شخص ملتج، مكحل العينين، يرتدي لباسا أفغانيا، رائحته نفاذة، ويمسك بالسواك في عينه القسوة والحقد، وهو إنسان متعصب ومتطرف ومتعطش للدماء، فيصفهم بـ "حراس النوايا"، وذلك قبل انتقالهم إلى

¹ - نزيه أبو نزال، السمات الفنية في رواية القمع العربية، مجلة فصول، مج 16، ع 3، 1998، الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 123.

² - نزيه أبو نزال، السمات الفنية في رواية القمع العربية، مجلة فصول، مج 16، ع 3، 1998، الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 123.

³ - مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية الجزائرية، عالم الفكر، م ج 1، د ع سبتمبر، 1999، ص 304.

عمليات القتل، فنقرأ في روايته "سيدة المقام" "حراس النوايا ينتشرون فيا لمدينة مثل رمال رياح الجنوب الساخنة تعرفين إنهم لا يأتون إلا عندما تحسر المدينة سحرها وتعود يخطى حثيثاً إلى ريفها الشفوي، الذي لا يقبل إلا بطقوسه.... الآن يجهر عليها حراس النوايا القبعة الأفغانية ونعاله بومنتل والقشائية والمعطف الأمريكي من فوق ونفي العصر والحضارة بين ذاكرة الناس تشمهم من بعيد فتغير المعابر والطرق، رائحة عطورهم القاسية والعنيفة تسبقهم عطر شببه من قوته العطر الذي سيكب على جثث الأموات"¹.

وفي رواية واسني الأعرج "شرفات بحر الشمال" التي تبرز الحياة تحت وطأة أعمار الماضي الدموي والتوتر النفسي في ظل السكون الوهمي حيث يقول: "أريد أن أنسى كل شيء لقد ذهب الذين كنت أحبهم وانطفؤا واحدا واحدا وعاد القتلة إلى المدينة يتسللون في الشوارع ويقفون عند مداخل العمارات كما كانوا يفعلون قبل عشر سنوات ما يزال الدم يملأ القلب... الأرض التي عرفت منذ سنوات تغيرت وسقطت تربتها من يدي كورقة محروقة.

ومن الروايات أيضا التي عكست دموية المشهد الإرهابي، وجسدت تفاصيله بصورة حية رواية "تيميمون" لكاتب والروائي الجزائري "رشيد بوجدر" التي تحدث فيها عن رحلته إلى الجنوب الجزائري لبيتعد عن الإرهاب، فنجدته يطلق العنان لتيار الوعي، فتبتدئ تداعيات الطفولة والذكريات الحلوة والمرّة، فرغم ابتعاده عن الأحداث الدامية والمشاهد المؤلمة لكن أنى له أن يبتعد و اختبار الموت تصله مسموعة عبر وسائل الإعلام ومكتوبة، ويظهر أن تيمة الإرهاب في النص الروائي عنده تستند إلى موقف تاريخي "فالتاريخ لا يعود إلى الوراء والكاتب لا يعمد إلى توظيف الظاهرة الإرهابية كفعل ماضوي، فهي تحضر في الأذهان شئنا أم أئينا، لأن الإرهاب في نظرة ليس محرك التاريخ بل هو ظاهرة عرضية تطرأ على التاريخ، فتعيق حركته وسيرورته ويظل محطة سوداء في طريقه"².

وفي رواية أخرى بعنوان "بوح الرجل القادم من الظلام" للروائي إبراهيم سعدي، على اعتبارها واحدة من الروايات التي تعكس بعض ملامح ظاهرة الإرهاب، وهو ما يتجلى صريحا على لسان بطلها "الحاج منصور نعمان" أثناء حوادث أكتوبر 1988، الذي صور فيها فضاء شباب المدينة قبل حوادث أكتوبر، وهو يعاني من حالة التدمير والسخط والقلق من الفراغ الذي سيطر على يومياتهم، وهو في تزايد يوما بعد يوم، دونما وجود بصيص أمل يدفعهم إلى تغيير هذا الوضع، لتلبية أدنى وأبسط حاجاتهم اليومية، دفعهم كل هذا إلى التمسك بشدة بالمثل والمبادئ الدينية عليها تخفف آلامهم، لتنزع فيهم الأمل بعد اليأس وتملاً قلوبهم بالسكينة والهدوء بعد حالة الخوف.

إن فضاء المدينة الذي استحضره الحاج منصور في حوادث أكتوبر 1988 فضاء يسوده الشباب الناقم على وضعه المزري، اليأس من حالته، المتلهف في البحث عن بصيص أمل يحمل رنة التغيير، وهو ما دفعه إلى التمرد من خلال القيام بعمليات شغب كسد الطرقات، وحرق السيارات ونهب المحلات وتظهر هذه المشاهد الإرهابية في الرواية حيث يقول في ذلك: "عجلات مطاطية محترقة، شظايا الزجاج، وعلب ممزقة ونفايات أخرى مترامية على جوانب الطريق، وسط ذلك متظاهرون يرمون قوات الأمن بالحجارة، عناصر الأمن يردون عليهم بغازات مسيلة للدموع"³.

¹ - طه وادي، دراسات في نقد الرواية، القاهرة، دار المعارف، ط 1، 1995م، ص 2731.

² - الطاهر وطار، الولي الصالح يعود إلى مقامه الزكي، الجزائر، منشورات الجاحظية، دط، 1999، ص 105.

³ - واسيني الأعرج، سيدة المقام، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 1، 1998، ص 221.

فقد صور إبراهيم سعدي في روايته شخصية الإرهابي الأمير "أبا أسامة أو عبد اللطيف" صهر الحاج السارد في اللحظة التي جاء فيها قاصدا اغتيال الحاج بقوله: "حتى رأيتهم بزيمهم الأسود، وبوجوههم المتخفية وراء الأقنعة، ظننت أنهم من رجال الأمن، أي النينجا بالتدقيق الحاج ظهر في الوقت الذي كشف أحدهم عن وجهه، أي في اللحظة التي أدركت أنني كنت على خطأ لحظتها... كان قد تغير خصوصاً عيناه اللتان صارتا كعيني حيوان مفترس، كعيني مجنون كعينين لم تعد لها علاقة بعيون البشر"¹ هنا نلمح بكل وضوح التغير الذي طرأ على "عبد اللطيف"، حينما انظم إلى الجماعات الإرهابية فأصبح يتميز بالقسوة وبرودة الدم خاصة عندما تقدم بكل نية وقام بذبح صهره الحاج دونما تفكير في أية رابطة إنسانية تربطه به.

لقد حاولت الرواية شخصية الإرهابي، وحاولت أن تبحث في الأسباب التي أسهمت في تفاقم الأوضاع ووصولها إلى هذا الحد، وهي أسباب كما يراها البعض دينية عقائدية واجتماعية واقتصادية، وباجتماعها تحول الفرد من مواطن عادي إلى مجرم لا يتوانى في قتل أقرب الناس إليه، تلبية لإرادة الجماعة الإرهابية التي ينتمي إليها، وهذا التصوير لشخصية الإرهابي كفاعل اجتماعي، نجده أيضا في رواية "دم الغزال" للكاتب والروائي الجزائري "مرزاق بقطاش" حيث تظهر قيمة العنف والإرهاب في نصه الروائي من خلال تصوير شخصية الإرهابي من ناحية وتصوير العمليات الإرهابية وتوظيفها في البنية السردية من ناحية أخرى فقد استلهم الروائي حياة وأفكار الإنسان الجزائري ووظفها في بناء متخيل نصه وتجلت خاصة في استثمار حادثة اغتيال الرئيس محمد بوضياف، وحوادث الاختطاف التي كانت تطال الفتيات، وإراد بعض العمليات الإرهابية والأحداث الدامية التي مسرحها يوميات المجتمع الجزائري.

أما في رواية بما تحلم الذئاب لياسمينه خضرا توحى إلى أزمة الذات والبحث عنها في خضم التمزق الاجتماعي والثقافي، وكأن الفرد الجزائري في تلك الفترة كان يسعى جاهدا للبحث عن نفسه في ظل التيارات المتزاخمة، حيث أظهرت صورة المثقف في تلك الفترة، وقد كانت شخصية نافع وليد نموذجاً للمثقف التائه الباحث عن الهوية في مساره المهني بغية الوصول إلى الهدف المنشود إلا وهو البحث عن الذات وهو ما تمثله شخص الرواية التي تعيش في تناقضات نفسية صارخة.

كما أن استخدام لفظة "الذئاب" في عنوان الرواية يفتح مجالا للتساؤلات، بحيث يحيلنا إلى دلالات مفتوحة للتأويل ومنها ما يذهب إليه "صالح الدين ملفوف" إلى أن الذئاب هي بشر أشد خطرا وشراسة من الذئاب الحيوانية "فدئاب الرواية ماهي في الحقيقة إلا أصناف بشرية تجردت من إنسانيتها"²، ومن خلال تحليل اللغة الفنية الحاملة لرميزات مختلفة تكشف لنا "تعدد التيارات في العشرية السوداء وسقوط الايديولوجيات الواحدة تلوى الأخرى، إيديولوجية السلطة، وإيديولوجية الأمير، وإيديولوجية الجماعات المسلحة وأيضا إيديولوجيات أخرى". كما نجد تيمم الأطفال كضحايا الإرهاب واضحة في الرواية مثلتها فئة الأطفال التي لم تعرف معنى البراءة في جو سادته القتل، والتعذيب، والاضطهاد،³ فان الأطفال كانوا قبل غيرهم الحلقة الأضعف في هذا الصراع، والأكثر تأثرا بما حدث... غير قادرين على فهم ما يجري حولهم وقد يؤدي ببعضهم إلى حالات انعدام العلاج والضياع النهائي"⁴، فرغم أن

¹ - مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية الجزائرية، ص 209.

² - المرجع نفسه، ص 212.

³ - المرجع نفسه، ص 222.

⁴ - ياسمينه خضرا :محمد بولسهول ، بما تحلم الذئاب، تر: انطوان سركيس، دار الساقي، ط2، لبنان، 2014، ص 142.

الأطفال ببراءتها لا تستطيع أذية غيرها لم تسلم من الأيدي الممجية، بل وعانت أيضا من صدمات نفسية جراء هول الأحداث، "فجرت القنابل داخلها وأمامها عند دخول التلاميذ من المدارس وخروجهم وسقط الأطفال ضحايا كثيرون...، وقتلت بعض المراهقات بسبب أنهن لم يرتدين الحجاب أو بتهمة فساد الأخلاق ثم ذبحن"¹، فقد تعددت أسماء الروائيين في المتن الروائي منهم من كان له دورا أساسيا في أحداث الرواية ومنهم من نال دورا ثانويا فعلى سبيل المثال نجد نافع ووليد وشرحيل ونبيل وعبد الحليل وغيرهم، واشتركت هذه الجماعات الارهابية في فعل التخريب والقيام بأعمال العنف من أجل الحصول على الحكم "العنف مرحلة ضرورية... عملية تطهير دموية بين الأصوليين... اكتشف الأعضاء المؤسسون للفييس أنهم مجرد العوبة فسلطتهم لم تعد لها سطوة... كشفوا خبايا المجلس ووزعوا الفتنة... تندلع النزاعات هنا وهناك وتقضي الى تشقق درع الجهاد... تترصد الجماعات بآدنى فرصة كي تجدد السباق نحو الزعامة: الايرانيون، الافغان، الهجرة والتكفير، السلفيون، الجزارة، رفاق السعيد مخلوف، التابعون لشبوطي الذي أعلن نفسه جنرالاً"²

أما في رواية "أشباح الجحيم" للروائي ياسمينه خضرا أيضا نجد ثيمة العنف المسلح -الإرهاب - بدأت باغتيال رفيق الحريري الذي أعاد ذكرى الحرب الأهلية اللبنانية إلى الأذهان، تلك الحرب التي جاهد الحريري لإزالة أثارها أثناء توليه الرئاسة فقد عادت السيارات المفخخة التي وضعت نهاية للحريري، وهنا نجد الروائي يشير إلى قضية مهمة وهي ربط قضية اغتيال الحريري بالغزو العراقي، لان هذه الحادثة تعتبر نقطة حاسمة في انفجار الأحداث التي شهدتها العراق، لكونها ليست مجرد جريمة اغتيال بل كان ورأها مخطط سياسي مثل مشروعا سياسيا اقتصاديا وهذا ما يظهر جليا في المقطع الآتي: "أليست هذه الأيدي هي نفسها التي تطلق الرصاص في الظلام، تذبج وتحقن تخفي متفجرات تحت مقاعد الأشخاص غير المرغوب فيهم؟ صحيح انه لم تحدث غارات عقابية منذ أن وصل إلى بيروت، ولكن في سجل مستقبله مجازر رهيبة. إن ما يقرؤه في عيونهم لا يخطئ إنهم الموت زاحفا، عثرة عابرة، إفشاء سر، ولا يجد حتى الوقت الكافي لإدراك ما يحدث، منذ أسبوعين فقط وجد عماد الفتى المكلف بالاهتمام بي يتخبط في برازه وسط ساحة عمومية، بالنسبة للشرطة فان عماد مات بسبب جرعة مخدرات قاتلة"³ وتنتقل الرواية في سرد أحداث بيروت ومدى العنف الذي ساقه الإرهاب الذي قد ينفجر في أية لحظة إلى بغداد التي جاءها العنف والإرهاب بقوة على يدي أولئك الغزاة والمقطع الآتي يوضح ذلك: "... وحينما تالأت سماء بغداد بأسهم نيران غربية كنت أشيد لها أفقا رائعة ارتفعت صفارات الإنذار في صمت الليل طفقت العمارات تتحول إلى دخان ذابت الغزليات الأكثر جنونا وسط الدموع والدماء، احترقت كرايسي وكتابات الرومانسية في الجحيم وسلمت الجامعة للمخربين والأحلام لحفار القبور"⁴.

يظهر من خلال هذا المقطع الروائي إلى أن الإرهاب في العراق كان قبل الغزو ممنهجا من قبل النظام الحاكم، فكل من تسولت له نفسه معارضة هذا النظام تنصب له المقاصل في كل مكان وفي كل وقت، فكلمة اعتراض واحدة من فرد كافية لتشيت عائلة بأكملها، ويزداد العنف الإرهابي تأججا في مرحلة الغزو الأمريكي للعراق يصل إلى أقصى درجاته ويظهر ذلك في المقطع الآتي:

¹ - المصدر نفسه، ص 203.

² - ياسمينه خضرا: محمد مولسهول: أشباح الجحيم، تر: محمد ساري، دار الفارابي، بيروت، ط 2005، ص 13، 14.

³ - المصدر نفسه، ص 40

⁴ - المصدر نفسه، ص 75

"يصرخ العسكري الأسود إلى حد تمزيق حنجرته بمجرد أن وضعت قدما على الأرض اقلعني من اليسار وأجبرني على الجثو، تركته يهزني على هواه تراجع إلى الوراء ثم أمر الحداد بالنزول. الرشاش موجه نحو المقعد الخلفي"¹، كما توضح الرواية مدى وحشية جنود الاحتلال وممارستهم الادمية على الشعب العراقي دونما تمييز بين طفل أو شيخ حصار الفلوجة، الضرب الوحشي الذي سلطه العساكر الانجليز على أطفال عراقيين والقبض عليهم خلال مظاهرات شعبية، الاعدام النافذ الذي مارسه عسكري على مدني مجروح في قلب مسجد، طائرة مروحية أمريكية تطلق النار على قرويين... حيث تظهر هذه الممارسات الوحشية خاصة في حصار الفلوجة، فقد مارس جنود الاحتلال العنف بكل أشكاله، على أهالي تلك المدينة من ضرب للأطفال وقتل للمدنيين العزل داخل المساجد دون احترام لقدسية تلك الأماكن. ويظهر ذلك في المقطع الآتي "كانت كل رصاصة تحترق جسد الهارب تمزق أحشائي... كأن الرصاصات لم تخط ظهره الى جانب يصرخ الحداد كالجنون وجهه مغطى بالدموع"²

خاتمة:

- حاولنا في هذه الدراسة تسليط الضوء على مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر المعاصر، الا وهي مرحلة العشرية السوداء، التي دفعت الأدباء الجزائريين إلى الكتابة رغم الظروف المزرية وقد اتخذت دراستنا أهم النماذج الروائية لرسم صورة الإرهاب في المجتمع الجزائري خلال العشرية السوداء.
- رغم اختلاف القضايا والمواضيع المطروحة في مضامين النص التسعيني، إلا إنها تتقاطع في كثير من النقاط.
- تمكن الأدباء الجزائريين من مواكبة أحداث العشرية السوداء، فصنعوا بذلك تجربة أدبية جديدة تميزت بالجد في الطرح حيثوا عاجلوا عن كذب الملامح الاجتماعية المزرية والصراع السياسي آنذاك.
- افرز التجديد الذي عرفته رواية العنف رؤية فنية من زاوية محايدة تقرا الواقع وتعطي رؤية فنية للقارئ الجزائري
- كانت صورة الإرهاب في الروايات متجسدة في شخصيات عديدة، أين لعبت على مدار أحداث الروايات دورا فاعلا في كشف واقع العشرية السوداء
- عرض الفضاء في الروايات عدة تقنيات معروفة في الرواية الجزائرية، كتقنية الواقعية المتمثلة في مدينة الجزائر ومناطقها، وأماكن ثانوية كالمدرسة ومركز الشرطة والبلدية، وبعض المناطق الريفية التي تشير إلى أماكن حقيقية، لان تعيين المكان الروائي باسم حقيقي يجعل الروايات أكثر واقعية ويعطيها صفة المصادقية، فجاء فضاء المأساة مجسدا من خلال الروايات التي صورت الإرهاب والعنف الطاغى على فترة العشرية السوداء.

¹ - المصدر نفسه، ص 75.

² - المصدر نفسه، ص 76.

قائمة المراجع:

- وغليسي، ي. (2009). *مناهج النقد الأدبي الجزائري*. الجزائر: جسور.
- الرازي، م. ب. ب. ب. ع. ا. (1962). *مختار الصحاح*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة.
- يقتين، س. (2014). *الفكر الأدبي العربي البنيات والأنساق*. الجزائر: منشورات الاختلاف ط1.
- ابن منظور، م. ا. ع. ا. (1414). *لسان العرب* (م 2). بيروت: دار المعارف.
- مصطفى، ف. (2001، نوفمبر 9). *الأدب الاستعجالي يعود الى الواجهة*. استرجع في 14 نوفمبر، 2019، من جريدة الأخبار
- الحديدي، ع. ا. (1996). *الفن القصصي في ضوء النقد والنقد الأدبي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1.
- وطار، ا. (1999). *الولي الصالح يعود الى مقامه الزكي*. الجزائر: دار الجاحظية ط1.
- وادي، ط. (1995). *دراسات في نقد الرواية*. القاهرة: دار المعارف ط1.
- مولسهول، م. (2014). *بماذا تحلم الذئب؟*. لبنان: دار الساقى ط1.
- دبلة، ع. ا. (2004). *الدولة الجزائرية الحديثة الاقتصاد المجتمع السياسة*. القاهرة: دار الفجر ط1.
- أبو عوف، ع. ا. (1995). *قراءة في الرواية العربية المعاصرة*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1.
- الأعرج، و. (1998). *سيادة المقام*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ط1.
- بن تومي، ا. (2020، فبراير 22). *اشكالية مصطلح الأدب الاستعجالي / التحول السردي*. استرجع في 20 ديسمبر، 2019، من <http://www.ALAKHbar>.
- عبد الله الفلاح، ع. (2012). *قواعد حضارية في مواجهة الأدب للإرهاب*. قُدّم في الأدب في مواجهة الإرهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.
- أحمد محمد، ر.، & صالح بكر، ا. (1998). *الإرهاب الدولي*. باريس: مركز الدراسات العربي الأوروبي ط1.
- مخلوف، ع. (2000). *الرواية والتحويلات في الجزائر*. الجزائر: مكتبة الادب الجزائري ط1.
- بوشوشة، ب. ج. (2008). *سردية التحريب وحداثة السرد في الرواية العربية الجزائرية*. الجزائر: الدار المغاربية للنشر ط1.
- مولسهول، م. (2005). *أشباه الجحيم*. لبنان: دار الفراي ط1.
- نزيه، ا. ن. (1998). *السمات الفنية في رواية القمع العربية*. فصول، 16 (3)، 122-123.
- بدوي، أ. ز. (1982). *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*. لبنان: مكتبة لبنان ط1.
- حمدون، س. (2010). *صورة المثقف في روايات بشير مفتي (أطروحة ماجستير)*. قاصدي مرباح، ورقلة.
- مخلوف، ع. (1999). *أثر الإرهاب في الرواية الجزائرية*. عالم الفكر، 1 (22)، 303-304.
- فكرة، س. (2012). *أدب الهوية الوطنية وأثرها في مواجهة الإرهاب*. قُدّم في الادب في مواجهة الإرهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.
- صالح سليمان، ع. ا. (1998). *سوسيولوجيا الرواية السياسية العقيد يوسف أمموجا*. مصر: الهيئة المصرية للكتاب.
- النيس، ك. (2011، مايو 7). *ظاهرة الإرهاب: المفهوم والاسباب والدوافع*. استرجع في 6 نوفمبر، 2019، من الحوار المتمدن عدد : <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp.?aid=266268/3419>
- Le petit Robort, L. petit R. (1993). *Le petit RobortDictionnaire de la langue française*. paris: paris.
- Oxford Advanced learner's , O. A. learner's. (1974). *Oxford Advanced learner'sDictionary of current English*. English: English.